

التعليم عن بعد في تجربة الجامعة الجزائرية: بين الحالة الطارئة وجودة الرسالة

Distance education in the experience of the Algerian University between the emergency situation and the quality of the message

د. عبدلي سفيان²

ط. د. رفرافي عبد الرحمان¹

1- جامعة الوادي، الجزائر، refrafi-abderrahmane@univ-eloued.dz

2- جامعة بسكرة، الجزائر، sofiane.abdelli@univ-biskra.dz

تاريخ النشر: 15./10./2021...

تاريخ القبول: 21.../06./2021

تاريخ الإرسال: 05..06..2021...

ملخص

التعلم عن بعد يتعدى مجال التعليم التقليدي، أين يستعاض الطلاب من الالتزام بالحضور الشخصي للدرس، الى اتباع طرق حديثة ومن خلال وسائل خاصة بالمقام، عبر الإنترنت، وبطرق مختلفة. حتى من المنزل يمكن للطلاب قضاء وقت مفيد أمام الكمبيوتر، حيث يصبح أكثر استقلالية من حيث الاستخدام، ويتعلم أساليب جديدة للتغلب على أي عقبة قد تنشأ في طريق اكتساب معرفة جديدة، لم يعد الوصول إلى المكان الذي تُعقد فيه الدروس أمرا صعبا، ولم يعد هناك المزيد من العقبات التي من شأنها الوقوف في طريق الحصول على ما يريد. يوفر التعليم عن بعد إمكانية استمرار التعليم، حيث يتعلم الطالب وفقاً لإمكاناته الخاصة، كما يمكنه تلقي الدرس بتنظيم الوقت، وباختيار الطريقة المناسبة التي سيدرس بها، يختار مكان دراسته، ويرتب مكان عمله حسب رغبته، حتى يخلق جوا مناسباً، ويكتسب مهارات إضافية، ويصبح أكثر فعالية. الأمر الى حد هنا يبدو مثاليا، لكن يبدو أن هناك عوائق أمام عملية التعلم والتعليم، منها ما يتعلق بالمتعلم ومنها ما يتعلق بالمستوى المادي واللوجستي للطلاب ولعائلته وبالمستوى المعيشي عموماً. إشكالية الدراسة: هل تتميز عملية التعليم عن بعد بالنجاعة في الوسط الجامعي؟ وهل عملية التعليم عن بعد تكفل حق المساواة في التعليم؟ من خلال الإشكالية نتطرق أيضا للسؤال عن معوقات التعليم عن بعد، ودور الأستاذ الجامعي في عملية التعليم ومدى استجابة الطالب؟ الدراسات في هذا الموضوع قليلة جدا خاصة في الوسط الجامعي الأمر الذي دفعنا الى استعمال عدة مناهج علمية للإحاطة بجوانب الموضوع المتعددة لكن كانت الغلبة للمنهج الوصفي التحليلي الذي نراه مناسباً لمثل هكذا دراسة خاصة إذا تعلق الأمر بدراسة ظاهرة تتطلب الدقة.

* رفرافي عبد الرحمان

خلصنا من خلال هذه الدراسة الى أنه لا طريق ناجعة ستحل محل التدريس المباشر، وأنه مهما كانت أنظمة وأدوات التعلم عبر الإنترنت متقدمة، فإن هؤلاء الفاعلين لن يصلوا أبداً إلى مستوى أولئك الذين طوروا مهاراتهم من خلال وضع أيديهم في المختبرات والتعامل المباشر مع الطالب.

الكلمات المفتاحية: التعليم عن بعد، التعليم الإلكتروني، التعليم في زمن الكورونا، التدريس الحديث، التدريس التقليدي، المساواة في التعليم، التعليم الجامعي.

Summary

Distance learning goes beyond the field of traditional education, where students replace the commitment to personal attendance of the lesson, to follow modern methods and through means specific to the place, via the Internet, and in different ways.

Even from home the student can spend useful time in front of the computer, as he becomes more independent in terms of use, and learns new methods to overcome any obstacle that may arise in the way of acquiring new knowledge, it is no longer difficult to reach the place where the lessons are held, and there is no more Obstacles that stand in the way of getting what he wants.

Distance education provides the possibility of continuing education, where the student learns according to his own potential, and he can also receive the lesson by organizing the time, and by choosing the appropriate way in which he will study, he chooses the place of his studies, and arranges his workplace according to his desire, until he creates an appropriate atmosphere, acquires additional skills, and becomes more effectiveness.

To some extent, it seems ideal, but it seems that there are obstacles to the process of learning and teaching, some of which are related to the learner, and others related to the financial and logistical level of the student and his family and the standard of living in general.

The problem of the study: Is the distance education process characterized by efficiency in the university environment? Does the distance education process guarantee the right to equality in education?

Through the problem, we also address the question about the obstacles to distance education, the role of the university professor in the education process, and the student's response.

Studies on this subject are very few, especially in the university community, which prompted us to use several scientific approaches to understand the various aspects of the subject, but the descriptive analytical approach, which we consider appropriate for such a special study, prevailed when it comes to studying a phenomenon that requires accuracy.

We concluded through this study that no effective way will replace direct teaching, and that no matter how advanced the online learning systems and tools are, these actors will never reach the level of those who developed their skills by putting their hands in laboratories and direct interaction with the student.

Keywords: distance education, e-learning, education in the time of Corona, modern teaching, traditional teaching, equality in education, university education

مقدمة

يوفر التعليم عن بعد إمكانية استمرار التعليم، حيث يتعلم الطالب وفقاً لإمكاناته الخاصة، كما يمكنه تلقي الدرس بتنظيم الوقت، وباختيار الطريقة المناسبة التي سيدرس بها، يختار مكان دراسته، ويرتب مكان عمله حسب رغبته، حتى يخلق جواً مناسباً، ويكتسب مهارات إضافية، ويصبح أكثر فعالية.

الأمر إلى حد هنا يبدو مثالياً، لكن يبدو أن هناك عوائق أمام عملية التعلم والتعليم، منها ما يتعلق بالمتعلم ومنها ما يتعلق بالمستوى المادي واللوجستي للطالب ولعائلته وبالمستوى المعيشي عموماً.

إشكالية الدراسة: هل تتميز عملية التعليم عن بعد بالنجاعة في الوسط الجامعي؟ وهل عملية التعليم عن بعد تكفل حق المساواة في التعليم؟

من خلال الإشكالية نتطرق أيضاً للسؤال عن معوقات التعليم عن بعد، ودور الأستاذ الجامعي في عملية التعليم ومدى استجابة الطالب؟

الدراسات في هذا الموضوع قليلة جداً خاصة في الوسط الجامعي الأمر الذي دفعنا إلى استعمال عدة مناهج علمية للإحاطة بجوانب الموضوع المتعددة لكن كانت الغلبة للمنهج الوصفي التحليلي الذي نراه مناسباً لمثل هكذا دراسة خاصة إذا تعلق الأمر بدراسة ظاهرة تتطلب الدقة.

خلصنا من خلال هذه الدراسة إلى أنه لا طريق ناجحة ستحل محل التدريس المباشر، وأنه مهما كانت أنظمة وأدوات التعلم عبر الإنترنت متقدمة، فإن هؤلاء الفاعلين لن يصلوا أبداً إلى مستوى أولئك الذين طوروا مهاراتهم من خلال وضع أيديهم في المختبرات والتعامل المباشر مع الطالب.

1- التعلم عن بعد: بين الحق الدستوري والحالة الاستثنائية.

تنص المادة 35 من الدستور الجزائري: تضمن الدولة الحقوق الأساسية والحريات، وتستهدف مؤسسات الجمهورية ضمان مساواة كل المواطنين والمواطنات في الحقوق والواجبات بإزالة العقبات التي تعوق تفتح شخصية الإنسان، وتحول دون المشاركة الفعلية للجميع في الحياة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية.

إن عبارة إزالة كل العقبات تشير إلى حرية اختيار كل من مواضيع ووسائل التدريس الممكنة. من هذا المعيار يمكننا أيضاً أن نستنتج أن التعليم الأكاديمي لا ينبغي أن ينحرف إلى وسيلة نشر غير قادرة على ضمان استخدامه المجاني. وهو ما جاء في نص المادة 65: الحق في التربية والتعليم مضمونان، وتسهر الدولة باستمرار على تحسين جودتهما، التعليم العمومي مجاني وفق الشروط التي يحددها القانون.

من خلال هذه الفرضية الموجزة، نسعى في تسليط الضوء على الأضواء والظلال لموضوع حال ومثير للجدل: توفير التعلم عن بعد.

تنص المادة 27 من الدستور: تضمن المرافق العمومية لكل مرتفق التساوي في الحصول على الخدمات، وبدون تمييز. تقوم المرافق العمومية على مبادئ الاستمرارية، والتكيف المستمر، والتغطية المنصفة للتراب الوطني، وعند الاقتضاء، ضمان حد أدنى من الخدمة. كما تسهر الدولة على ضمان التساوي في الالتحاق بالتعليم والتكوين المهني. إذا أردنا تصوير الاختلالات التي تتعلق بطريقة التدريس هذه، فسنبدأ بتذكر أن الجامعة، بمعناها المادي، هي المحرك الرئيسي للمعرفة، لتكون المكان الذي يتم فيه توجيه الأفكار.

تشكل الاجتماعات مع الزملاء والشخصيات المؤسسية وقود المجتمع الأكاديمي: إنها في الواقع مشاركة الأماكن والعادات الجماعية التي يمكن أن تجعلنا في الواقع نناقش حول المجتمع. يمثل اللقاء المباشر قطعة أساسية من الفسييفساء، والتي بدونها لا يمكن تعريف عملية "التعليم" على أنها شاملة.

من ناحية أخرى، فإن الوباء الذي أصاب بلدنا على غرار العالم، بعد أن فرض علينا الامتناع عن أي شكل من أشكال التجميع، كان له تأثير أكبر على حياة المجتمعات، لذلك، تم إعداد الأدوات البديلة التي لم يكن من الممكن تصورها سابقاً للتدريس التقليدي: لقد لقيت القوة القاهرة والظروف الطارئة سبيلها في إيجاد نوع آخر من الحلول¹، عند هذه النقطة يمكن طرح السؤال الآتي: هل الوسيلة أكثر أهمية من الغاية؟ هل هو أكثر ملاءمة للحصول على تعليم كامل وشامل أو المكوث في الجامعات رغم الأخطار؟

يصبح السؤال مشروعاً عند التعامل مع رغبات الطلبة والأساتذة وكذا الإداريين الذين استحسنوا على حد سواء، هذه التجربة عوضاً عن المشاركة المباشرة في الدروس الجامعية. التي تشكل حتماً خطراً عليهم وعلى محيطهم. ولذلك فإن التفكير يتمحور على: بالرغم من أن توفير التعلم عن بعد هو طريقة افتراضية؛ يسمح بمشاركة جميع هؤلاء الطلاب الذين لولا ذلك لن يكونوا قادرين على الاستفادة من حقهم الدستوري.

تشكل الاجتماعات مع الزملاء والشخصيات المؤسسية وقود المجتمع الأكاديمي: إنها في الواقع مشاركة الأماكن والعادات الجماعية التي يمكن أن تجعلنا في الواقع نناقش حول المجتمع. يمثل اللقاء المباشر قطعة أساسية من الفسييفساء، والتي بدونها لا يمكن تعريف عملية "التعليم" على أنها شاملة.

يتم تحديد الأقليات التي نشير إليها، على سبيل المثال، في الطلاب العاملين الذين، بسبب الضرورة الاقتصادية، لا يشاركون في الدروس، يدرسون بصفاتهم غير نظامية ويعانون من صعوبات نسبية.

¹ تشير منظمة "اليونسكو" إلى أن ثروة الموارد التعليمية الرقمية قدمت طلبات جديدة على أنظمة ومؤسسات التعليم العالي، التي تشمل تطوير مناهج ابتكارية وبرامج دراسية ومسارات تعليمية بديلة وطرق التعليم العالي، وكل ذلك يمكن تيسيره عبر الإنترنت والتعليم عن بُعد والدورات القصيرة القائمة على المهارات.

وهناك فئة أخرى ليس لها أهمية كبيرة تتمثل في الطلاب المتنقلين الذين يفقدون، كل يوم، ساعات لا حصر لها من السفر مضحين بذلك بدراساتهم أو يضطرون إلى صرف الأموال مقابل الإيجار، ومن يستطيع تحمل هذا الإيجار ويمكنه تحمل الاشتراك في وسيلة النقل؟ في النهاية، لا يمكننا استبعاد فئة الطلاب الذين يعانون من أمراض تعيقهم على التحصيل العلمي. بالنسبة للبعض منهم، قد يكون الالتحاق بالجامعة أفضل بكثير لجميع فئات الطلاب المذكورة في نص المادة 2 من البروتوكول الإضافي الملحق بالاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان:

"لا يمكن رفض الحق في التعليم لأي شخص"؛ وكذلك المادة 14 من ميثاق الاتحاد الأوروبي للحقوق الأساسية: "لكل فرد الحق في التعليم والوصول إلى التدريب المهني والتدريب المستمر". في ضوء الاحتياجات والمعايير الملغاة، نعتقد أنه من الصواب النظر في فرضية جعل التدريس عن بعد دائمًا لاستكمال التدريس التقليدي في المنصة، ستكون هناك فوائد عديدة:

أولاً: تحقيق المساواة التي ليست رسمية فحسب، بل هي قبل كل شيء جوهرية وهو ما أشارت إليه المادة 27 من الدستور. ثانياً: ميزة انخفاض التدفق على حجرات الدراسة وكذا مكاتب الإدارة الأمر الذي سيؤدي إلى وفرة في الأماكن البيداغوجية. يعتقد آينشتاين أن الأزمة كانت أعظم نعمة للشعوب والأمم، لأنها قادرة أن تؤدي إلى التقدم. وفقاً لقاعدة بيانات البنك الدولي الخاصة بإغلاق المدارس² وهي الدولي، فإن سبعة وستين دولة، قد أعادت فتح أبوابها أو تستعد لإعادة فتحها. خلال الموسم الدراسي الحالي³.

2- العوامل المؤثرة في عملية التعليم بين إعادة فتح الجامعات والتعليم عن بعد

إن قرار إعادة فتح الجامعات أمر معقد للغاية، وغالبًا ما يُشرك صانعي السياسات ومدراء الجامعات وأولياء الأمور والأساتذة في مناقشات حول إدارة المخاطر. أصبحت صحة الطلاب، وكذلك صحة المجتمع، أيضًا قضية مركزية في النقاش، إلى جانب العواقب طويلة المدى على صحة الطلاب ورفاههم، وخسائر التعلم، وتفاقم عدم المساواة التي تؤثر على الطلاب الأكثر ضعفًا وحرمانًا. تعتبر المشاورات مهمة أيضًا لضمان أن القرار مناسب للسياق ومصمم وفقًا لاهتمامات واقتراحات أصحاب المصلحة الرئيسيين. التعلم عن بعد ليس ظاهرة حديثة، يعود تاريخه في الواقع إلى عام 1728 عندما قدم كاليب فيليبس، مدرس في بوسطن، ماساتشوستس⁴، دروسًا قصيرة الأجل للطلاب عبر دروس أسبوعية بالبريد. في أوائل الأربعينيات من القرن التاسع عشر، قبل ظهور

² وتشمل هذه التدابير إعادة الفتح على المستوى الوطني أو المحلي، أو الإدماج التدريجي للمجموعات / الصفوف (فرنسا، أوروغواي)؛ تعيين مدرسين إضافيين لتغطية النقص الناتج في الفصول الدراسية الأصغر (اسكتلندا)؛ مساعدة التحول (ألمانيا)؛ إدخال مراقبة درجة الحرارة وإجراءات التباعد الاجتماعي (مثل الدنمارك وفنلندا وكوريا وسنغافورة وتايلاند وتونس)؛ و / أو توفير الأقنعة ومعدات الحماية الشخصية للمعلمين والطلاب عندما يكونون في المدرسة (جيبوتي). بعض البلدان مثل البرازيل وكندا والمملكة المتحدة، تترك القرار للولايات والمقاطعات والمقاطعات، على سبيل المثال، في أكبر منطقة تعليمية في الولايات المتحدة (نيويورك، بما في ذلك مدينة نيويورك)، سيتم إعادة فتح المدارس فقط في المناطق التي أظهرت معدلات انتقال منخفضة باستمرار (أقل من 5٪ لمدة أسبوعين).

³ تمثل سلامة الطلاب والأساتذة ومنع انتشار فيروس كورونا الأولوية القصوى للبلدان وفقًا لمسح البنك الدولي واليونسكو واليونسف، بشأن استجابات أنظمة التعليم لـ COVID-19، التي أجريت في جوان الماضي، تشير النتائج إلى أنه اعتبارًا من شهر جوان، كان أكثر من 95٪ من الدول التي شملها المسح تخطط لإعادة فتح المدارس، لكنها كانت تخطط أيضًا لاتخاذ تدابير لمنع زيادة الإصابات.

⁴ The first traces of distance learning date back as far as the 1700s. In fact, it was in Boston, Massachusetts in 1728 when a teacher by the name of Caleb Phillips advertised the first shorthand

الإنترنت بوقت طويل، قام إسحاق بيتمان، وهو معلم بريطاني، بتدريس الاختزال من خلال دورات بالمراسلة، التعلم والتعليم عن بعد لهما تاريخ طويل، لكن شعبيتهما تضاعفت كثيراً مع توفر وسائل الاتصال والتكنولوجيا الأكثر تقدماً في أواخر القرن العشرين⁵.

ومع ذلك، لم يكن حتى ظهور الإنترنت في أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين هو أن توافر وشعبية برامج التعلم عن بعد ارتفعت بشكل كبير حيث جعلت أجهزة الكمبيوتر والإنترنت التعلم عن بعد أسرع وأسهل وأكثر ملاءمة، تتوفر اليوم برامج التعليم عبر الإنترنت والمستندة إلى الويب في معظم الدول.

يعد التسجيل في برامج التعليم عن بعد في كل مستوى تعليمي أمراً شائعاً، تعتبر برامج التعليم عن بعد في كل مجال من مجالات الدراسة التي يمكن تخيلها، من محو الأمية إلى برامج الدكتوراه، أين تتوفر برامج التعليم عن بعد في كل مستوى من مستويات التدريس. أجبرت أزمة فيروس كورونا وما ترتب عليها من حبس آلاف الطلاب على متابعة فصولهم الدراسية عن بعد، وهو ما يعد بديلاً جيداً لمواصلة التعليم وعدم تفويت العام الدراسي في مثل هكذا ظروف.

ومع ذلك، فإن الحقيقة هي أن هذه الممارسة تقوم على سلسلة من الافتراضات التي لا تتحقق في جميع الأسر، لذلك في بعض الحالات يمكن أن تسهم في تعزيز الفشل المدرسي، وقبل كل شيء، في زيادة الفجوة التعليمية.

بادئ ذي بدء، لا تحتوي جميع المنازل على جهاز كمبيوتر، أو اتصال إنترنت ثابت، ولا يوجد حتى طابعة أو ماسح ضوئي، وهو أمر يبدو اليوم ضرورياً للتمكن من متابعة الدراسة عبر الإنترنت، وإكمال الواجبات التي يرسلها الأساتذة إلى طلابهم إلكترونياً. ولكن على الرغم من أن الموارد يمكن أن تكون عاملاً حاسماً فيما يتعلق بالنجاح المدرسي، إلا أن المستوى التعليمي للوالدين يكون أكثر حسماً، والذي قد لا يعوض أحياناً في المنزل عن غياب المعلم، والقيمة التي يعطونها للتعليم، وكذلك مشاركتهم في عملية التعلم لأطفالهم.

لقد تم إثبات أن المستوى الأكاديمي للآباء له تأثير حاسم على المستوى التعليمي للأطفال، وأنه كلما زاد التعليم لديهم، زادت اهتمامهم لأطفالهم، وأن نوع التفاعل بين الآباء والأطفال يتم تحديده جزئياً على المستوى الاجتماعي والاقتصادي.

2- عملية التعلم من المنزل: ضرورة بنتائج مجهولة

يعد التعليم عن بعد تحدياً كبيراً: "هناك طلاب ليس لديهم طريقة للاتصال بالإنترنت وآخرين لديهم اتصال ضعيف"، نفي هذا السياق، من الصعب حقاً على الطلاب مواصلة تعليمهم عن بُعد، لأن المسافة لا تؤدي إلا إلى تفاقم الصعوبات التي يتعين على المعلمين والطلاب التعامل معها يومياً في المدرسة⁶.

correspondence lessons ever to be offered by mail. But it wasn't until the 1800s when the U.S. postal system bloomed that correspondence learning really took off.

⁵ بدأ التعليم عن بعد لأول مرة في أمريكا في ثلاثينيات القرن الماضي، مع أكثر من 25 مؤسسة حكومية للتعليم، و 200 نظام مدرسي والعديد من الكليات والجامعات التي تقدم برامج تعليمية تُبث عبر الإذاعة العامة.

⁶ Valentine, D. (2002). Distance Learning: Promises, Problems, and Possibilities, Online Journal of Distance Learning Administration, Volume 5 (3). Retrieved from: <http://www.westga.edu/~distance/ojdla/fall53/valantine53.pdf>.

بهذا المعنى، يعترف المعلم بأن "هناك طلاب، عادةً يملكون الكثير من المهارات، حيث يقومون بتسليم واجباتهم المدرسية في الوقت المحدد، لكن الآخر لا يفعل ذلك، إما لأنه ليس لديهم اتصال بالإنترنت، أو لأنهم لا يحظون بالدعم والمساعدة من أوليائهم لعدم وجود أحد في المنزل يحفزهم على الدراسة". هناك أطفال ليس لديهم بالفعل رغبة كبيرة في العمل وفي ظل هذه الظروف، أصبح القيام بذلك أكثر صعوبة.

هذا هو السبب في أن الأساتذة يبذلون جهدًا إضافيًا للحفاظ على مشاركة طلابهم وتحفيزهم واتصالهم بالتعليم عن بعد. نتلقى باستمرار رسائل بريد إلكتروني من طلابنا يطرحون فيها أسئلة حول الموضوع الذي نقترحه عليهم ونحاول الإجابة عليها في أقرب وقت ممكن، بل وقد مكنا الطلاب من أرقام هواتفنا الشخصية، كما هو الحال بالنسبة للعديد من الأساتذة.

لقد أثر الوباء بشكل كبير على ممارسات التدريس بالجامعة، على الرغم من إحراز تقدم في التعليم الإلكتروني على مستوى التعليم العالي، إلا أن هذه الطريقة لا تزال تتمتع بتغطية منخفضة حتى الآن.

بين التعليم التقليدي والتعليم عن بعد في حالات الطوارئ كما هو واقع الحال، والذي يتطور حاليًا نتيجة لاستمرار الوباء، ونشير إلى أنه على الرغم من أن التعليم عن بعد بشكل عام هو أقل جودة، إلا أنه تم تطويره في جامعات مرموقة وأظهر تطورات مهمة، يعتمد التعليم عن بعد على التصميم الدقيق والتخطيط وتحكمه مؤشرات تعليمية محددة.

أدت حالة الطوارئ إلى قيام مؤسسات التعليم العالي بتنفيذ دورات عبر الإنترنت دون مزيد من التحضير أو التخطيط المسبق أو التدريب، هذا هو السبب في أنه من الضروري التحلي بالمرونة، وتحديد الأولويات، والإبداع، والشمول، وتقبل دون شك، تطوير المهارات التي يرغب فيها الطلاب والسعي إلى تحسينها.

4 - الطالب في عملية التعلم عن بعد: أي دور؟

نقوم بجمع معلومات حول التدريس عن بعد في سياق جائحة كورونا، والتحقيق في الصعوبات والاحتياجات والفرص والخبرات للأساتذة في الجامعة، في المرحلة الأولى، أردنا تحديد الفئات الناشئة المرتبطة بعملية التعلم عن بعد، ثم إنشاء استبيان تطبيقي لمجموعة من الأساتذة.

في المقابلات التي قمنا بها، ظهر بشكل متكرر أن الطلاب يغلقون الكاميرات وكذا الصوت عند إجراء الدروس عبر الإنترنت، يمكن تفسير هذه التفاصيل الصغيرة مسبقًا بالصعوبات في الاتصال أو التداخل الناتج في الصوت أو لأسباب لوجستية أخرى، كما يمكن أن يكون الطالب هو المتسبب في ذلك عن قصد⁷.

⁷ Although there were skeptics in the early internet age, educators soon realized what a valuable role it would play in distance and online learning. As such, the University of Phoenix was established as the first-ever "virtual college" in 1976. Universities including CAL campus, the first online-only curriculum, and Regent University, which offered the first online Ph.D. in communications, paved the way for the revolution of online and remote educations. As online education grew, it was innovated by professors and students who communicated using online seminars, discussion boards, and virtual advising. <https://sopa.tulane.edu/blog/evolution-distance-learning>

مما لا شك فيه، في عملية التعليم والتعلم، أن التواصل ثنائي الاتجاه بين الأستاذ والطالب أمر أساسي ولا غنى عنه، اليوم، يعزل الأستاذ نفسه في المنزل، في مكان لا يمكن مقاطعته.

أدت حالة الوباء إلى قيام مؤسسات التعليم العالي بتنفيذ دورات تطبيقية لتكوين سريع للأساتذة والطلبة على حد سواء، الهدف منه هو التدريب على أبجديات التعليم عن بعد دون تحضير مسبق ومخطط، الامر الذي أدى في بداية العملية الى تذبذب كبير في سير وتقديم الدروس لقلة الخبرة من جهة ولعدم الاهتمام من جهة أخرى، هذا هو السبب في أنه من الضروري التحلي بالمرونة وتحديد الأولويات ومحاولة الإبداع⁸.

بمجرد الانتهاء من ضبط الدرس وتحديد عناصر موضوع ما سيتم عرضه على الكاميرا، يبدأ الدرس، في محاولة لتكرار ما تم القيام به في كثير من المحاولات، ومع ذلك، عندما يقوم الأستاذ بطرح أسئلة ولا يجيب أحد، ولا يرى حتى إيماءات، أو أي إشارة، فانه لا يعرف ما إذا كان طلابه يستمعون، أو ما إذا كانوا هناك، لا يوجد شيء يساعد في التواصل مع الآخر.

لقد غير هذا السياق تصور المعلم للكفاءة الذاتية، حيث يتم تكوينها من التجارب الاجتماعية اليومية، النكسات والنتائج السلبية، تساهم في تقليل الثقة، وتنتقص من تصورهم الذاتي، ومن الواضح، لتقليل الكفاءة الذاتية المتصورة في تطوير دوراتهم مع الآثار التي يمكن أن يجلبها ذلك: فقدان السيطرة، وفقدان الحافز والتوتر، هذه الأعراض ناتجة من مزاوله التدريس دون إجراء تغييرات في المناهج الدراسية.

5 - منهجية التعليم والتعلم عن بعد، التمسك بالقديم بأدوات جديدة

العنصر الثاني في التحليل يتعلق بالاستراتيجيات المنهجية للأساتذة. تقليدياً، كانت عملية "التدريس" تركز على نقل المعلومات، وعلى التعليم نفسه، تم ترك "التعلم" جانباً، بناءً على تعليم يركز على المحتوى حيث كان الاستاذ يمتلك المعرفة وكان الطلاب مجرد متلقين. يتطلب الأمر تغييراً جذرياً في مفهوم التعليم، يتركز الاهتمام اليوم على التعلم، يكتسب الطالب دوراً رائداً وتتركز الجهود عليه بينما يتولى الاستاذ دور الميسر والمرافقة فقط، على الرغم من أن معظم الجامعات قد تبنت هذا النهج في نماذجها التعليمية، إلا أن هذه التحولات لا تتم دائماً بالسرعة اللازمة، نرى في جميع الجامعات بقايا من النموذج القديم⁹.

هذا النوع من الاستراتيجية في سياق التعليم عن بعد في الحالات الاستثنائية لا يتوافق مع عملية التعليم والتعلم ويمكن أن يكون تفسيراً جزئياً لانفصال الطالب، من الممكن أن يُنظر إلى الاستماع إلى المعلم بشكل مستمر لفترات طويلة، دون مزيد من التفاعل وبناءً على

⁸ It was not long before universities began to recognize the need for students to receive an education no matter where they lived. In 1922, Pennsylvania State College broadcasted courses across radio networks. In 1953, the University of Houston even offered courses by television! By the late 1960s, distance learning was becoming accepted under the moniker "independent study." Simultaneously, the first versions of the internet were invented, soon to revolutionize distance learning. <https://sopa.tulane.edu/blog/evolution-distance-learning>

⁹ Burns, Mary, (2011). Distance Education for Teacher Training: Modes, Models and Methods, Education Development Center (EDC), Inc, Massachusetts, 185- 205.

المحتوى المتاح في وسائل الإعلام المختلفة، على أنه "مضيعة للوقت" منذ ما قبل جائحة كورونا، تدعم الأدبيات فكرة أن الكرسي لا يساهم في التعلم النشط، وبالتالي، في بناء التعلم الهادف من قبل الطالب.

6- التعلم عن بعد: علاقة جديدة بأسلوب جديد

ميزة أخرى في التعليم عن بعد، هي الشكل الجديد للعلاقة بين الطلاب فيما بينهم وبين الطلاب والأساتذة¹⁰. من الغريب ألا يعرف طلاب السنة الأولى زملائهم في الفصل، وألا يعرفوا "جامعتهم"، والمرافق التي تحويها ولا تجربة الجو الجامعي والحياة الجامعية والولوج للمكتبات والاحتكاك بين الطلبة وحتى الحركة الرياضية والتجمعات الثقافية، مما لا شك فيه أن الدراسة "العادية"، هي التي تقوي الروابط وتشكل أيضًا جزءًا مهمًا من التعاون وربط أواصر الصداقة التي يتم دفعها بطريقة خفية في عمليات الدراسة.

تتم اليوم هذه العلاقة بواسطة الأستاذ أثناء لقاء الدرس المباشر على الإنترنت، على إحدى المنصات وبهذا "يصبح كل شيء رسميًا"، ولا يوجد مجالًا حقيقيًا يدعو إلى كسب أصدقاء جدد أو حتى إلى معرفة جيدة بزملاء الدراسة مما يعيق روابط الصداقة والتعاون في مجال التعلم.

لا يقتصر الأمر على الطالب، الأستاذ أيضًا يتأثر بهذا الوضع، أحد الأساتذة علق صراحة بأنه يشعر "بعدم معرفة طلابه الجدد، من المحتمل أن يكون هذا التأثير أقل في طلاب الدفعات السابقة مقارنة بالدفعات الجديدة، وهذا لا يقتصر فقط على العلاقة بين الأستاذ والطالب ولكن أيضًا على الأستاذ وزملائه.

فيما يتعلق بـ "إضفاء الطابع الرسمي" على العلاقات في عملية التعليم والتعلم في سياق التعليم عن بعد في حالة الكورونا، فمن الممكن أن يكون استخدام المنصات الإلكترونية قد أدى إلى مزيد من الفعالية، من حيث وقت تنفيذ الدروس¹¹.

يذكر الأشخاص الذين تمت مقابلتهم أنه في حالة عدم الحضور الشخصي للطالب، يمكن أن يحدث قدر أكبر من الامتثال في وقت بدء الجلسات؛ الآن، إذا أضفنا إلى ذلك بعض الأسئلة والتفاعلات بين الأستاذ والطلاب، فالدروس التي كانت تستغرق ساعتين مثلًا، تستغرق اليوم وقتًا أقل.

نعتقد أن ظاهرة الكفاءة هذه تحدث أيضًا في اجتماعات العمل، وربما يكون مفهومًا أن هناك مهام مختلفة يجب القيام بها، لذلك تبدأ الاجتماعات في الوقت المحدد، ولا تتم مناقشة أشياء كثيرة خارج الاجتماع ويتم إحراز تقدم في القضايا بسرعة، على الرغم من أن المنصات تسمح بالاتصال، إلا أن هذا الأمر ليس بالسهولة بما كان، والذي غالبًا ما يُترجم إلى تفضيل التزام الصمت من جانب بعض المحاورين وبالتالي ربح الوقت (أضف عدم وجود القهوة وندرة البروتوكول أو أوقات الاسترخاء المعتادة جدًا في ثقافتنا).

من الممكن أن يُنظر إلى الاستماع إلى المعلم بشكل مستمر لفترات طويلة، دون الكثير من التفاعل وعلى أساس المحتوى المتاح في وسائل الإعلام المختلفة، على أنه "مضيعة للوقت".

¹⁰ Quin, D. (2017). Longitudinal and Contextual Associations Between Teacher–Student Relationships and Student Engagement: A Systematic Review. *Review of Educational Research*, 87(2), 345–387.

¹¹ Serdyukov, P. (2021), "Formalism in online education", *Journal of Research in Innovative Teaching & Learning*, Vol. ahead-of-print No. ahead-of-print. <https://doi.org/10.1108/JRIT-02-2021-0010>

في كثير من الأحيان يكون هناك خطأ من جانب المعلم ينتظر أن يكون الطالب سباقاً، غالباً ما لا يحصل الطلاب على تدريب كافٍ في العمليات التعليمية من خلال استخدام التكنولوجيا، حيث، يأخذ الطالب دوراً سلبيًا في انتظار قيام المعلم بتوفير المعلومات، لذلك إذا لم يكن المعلم مهيبًا ولا يتقن التكنولوجيا، يصبح الفصل حوارًا فرديًا حيث يكون الأستاذ هو الوحيد الذي يتحدث ويقتصر الطالب على الإجابة على الأسئلة.

خاتمة

يوضح المقال الأزمة التعليمية التي نمر بها، أعتقد أن الافتقار إلى الرؤية ودراسة المخاطر ومدى صعوبة خروج جميع الفاعلين في العملية يجعل من الصعب التقدم نحو فرص تعلم أفضل. ومن خلال الخبرات المتراكمة في التدريس، وفي محاولة للبحث عن خبرات تعليمية أفضل، يمكننا القول إنه من الصعب التعامل مع بعض الطلاب وروتين الزملاء الذين يتمتعون بخبرة سنوات أكثر في التدريس وخبرة أقل في التحكم بالوسائل التكنولوجية الحديثة. على الرغم من أن المقال يوضح تفاصيل الأحداث اليومية للأكاديميين وطلاب الجامعات، فإنه لا ينبغي إغفال أن التدريس في وضع مماثل أمر بالغ الأهمية والخطورة، وبالتالي، التأثير المباشر على مستوى التحصيل، من وجهة النظر هذه، يجب أن يكون الأساتذة والطلاب على استعداد لبذل قصارى جهدهم لتجاوز هذا الوقت السيئ. يجب ألا ننسى أبدًا أنه لا شيء سيحل محل التدريس المباشر، وأنه مهما كانت أنظمة وأدوات التعلم عبر الإنترنت متقدمة، فإن هؤلاء الفاعلين لن يصلوا أبدًا إلى مستوى أولئك الذين طوروا مهاراتهم من خلال وضع أيديهم في المختبرات والتعامل المباشر. وأخيرًا نشير إلى أن النظرية التي تتحدث عن تركيز العملية التعليمية عن بعد لا تكمن فقط في تدمير الطريقة القديمة في التعليم والتعلم، إنها ليست أكثر من طريقة لتسهيل وظيفة الأستاذ وإرضاء الطالب والسعي من جهة أخرى لعدم إضاعة العام الدراسي، من بين أسباب أخرى.

النتائج والتوصيات:

التواجد عبر الإنترنت أمر فعال حتمًا، أولئك الذين يناقشون إمكانية ردود الفعل المعاكسة يعلمون جيدًا بوجود مواقع المواعدة والحب والألعاب عبر الإنترنت التي تعمل بشكل مثالي أين يقضي العديد من الطلبة والأساتذة على حد سواء أوقاتا كبيرة. يبدو أن الوصف المقدم حول الموضوع يعكس بشكل واضح ما يتم تجربته في الفصول الجامعية، ومع ذلك، أعتقد من ينتقد هذه الطريقة، يجب عليه معرفة أنه أمر مؤقت بسبب الحالة الاستثنائية الصحية. على الأقل في جامعاتنا، تلقى الأساتذة فترة تكوين، وإن كانت قصيرة جدًا، من أجل اتباع نهج أكبر لمنصات التعلم الرقمية، أين تمكن معظمهم بتكليف مقرراتهم الدراسية. من ناحية أخرى، ساعدت الجامعة طلابها من خلال إعارة المعدات داخل الجامعة ومنح الاتصال، كما لا نعتقد أن الدروس المقدمة تعتبر مضیعة للوقت، على الجانب الآخر من الشاشة، هناك طلاب يستمعون بعناية. يعود ذلك أساسًا إلى نقص التواصل المباشر بين الملقى والمتلقي، أتخيل أن العديد من الأساتذة غير متأكدين مما إذا كان طلابهم يفهمون المحتوى أم لا، لأنه كان يدرك ذلك في السابق وفقًا للإيماءات على وجوههم.

ومع ذلك، فيمكننا اعتبار هذا النوع من التدريس يتطلب استثمار وقت إضافي لكل من الأساتذة والطلاب، من ناحية أخرى، يستغرق الأمر مزيداً من الوقت لإعداد العروض التقديمية للدرس -والتي تمت كتابتها مسبقاً مباشرة على السبورة -ومن ناحية أخرى، في حين يرى بعض الطلاب، ونظراً لتوفر تسجيل الدرس، يميلون إلى مراجعة الفيديو مرة ثانية لاستعراض التفاصيل.

ندرك أن زيادة الضغط، يرجع إلى البقاء لمدة طويلة أمام الشاشة، سواء من أجل الأنشطة المباشرة، وكذلك بالنسبة للأنشطة المسجلة، والمشاركة في مناقشة الموضوعات وفي إنجاز الواجبات. ومع ذلك، نعتقد أن هذه العملية يجب أن يُنظر إليها على أنها فرصة لتحسين حالات التعلم في الأنظمة الافتراضية.

في المستقبل، يمكن اعتماد أنظمة مختلطة، والتي تشمل جزءاً من التدريس الافتراضي وآخر وجهاً لوجه، على سبيل المثال في حالة المختبرات والأنشطة العملية حيث يكون من الضروري التواجد في مكان مادي. أخيراً، نذكر أن كلاً من الطلاب والأساتذة، يجب أن يتحلوا بالمرونة في عملية تتم في سياق حالة طارئة.